

اللاجئون الفلسطينيون: حق العودة*

Palestinian Refugees: The Right of Return

Naseer Aruri, ed.

London: Pluto Press, 2001. 294 pages.

\$22.50 paper.

في هذا الكتاب، يقدم سبعة عشر باحثاً متميزاً وجهات نظرهم بشأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. ويعكس التحليل، الذي يستند إلى المؤتمر الذي عقد في نيسان/أبريل 2000، مشكلة اللاجئين كما كانت عليه قبل بدء مفاوضات الوضع الدائم. ثمة ذكر عابر لكيفية التعامل مع المشكلة (أو عدم التعامل معها توخياً للدقة) في كامب ديفيد في تموز/يوليو 2000. وليس هناك أي تحليل للتقدم الكبير الذي طرأ في طابا في كانون الثاني/يناير 2001، قبل أن يصبح أريئيل شارون رئيساً للحكومة في الشهر التالي [من سنة 2002]**.

في القسم الأول، المتعلق بالسياق التاريخي، يقدم مايكل بريور تقريراً عن التطهير العرقي في التوراة. وهو تقرير شائق من الناحية التاريخية، لكن ارتباطه بالفكر الإسرائيلي أو الأوروبي المعاصر غير واضح. ويقدم نور الدين مصالحة خلاصة جيدة لطرد الفلسطينيين سنة 1948 وفيما بعد. القسم الثاني مكرس لمصالح اللاجئين الدوليين الرئيسيين، وفيه يقدم إيلان بابيه مراجعة ثاقبة للمفاهيم الإسرائيلية، لكنها موجزة جداً للأسف بالنسبة إلى أهمية الموضوع. ومراجعة ناعومتشومسكي للسياسة الأميركية قصيرة أيضاً، وذات طابع عام. وهي لا تقدم عملياً أي معلومات عن تطور التفكير الأميركي (أو اللاتفكير، في أحيان كثيرة) فيما يتعلق بهذه المسألة خلال حقبة اتفاق أوسلو. غير أن خلاصة ألان غريش عن سياسة الاتحاد الأوروبي أكثر حداثة. أما الفصل الذي كتبه جابر سليمان عن تطور سياسة منظمة التحرير الفلسطينية، فهو مفصل ومثير للاهتمام، لكن كان يمكن أن يحتوي على مزيد من المعلومات عن السلطة

(*) المصدر: *Journal of Palestine Studies*, vol. XXXII, no. 1, Autumn 2002, pp. 111-112.
(**) للاطلاع على الموقف الفلسطيني الأولي في طابا، وعلى "اللاورقة" الإسرائيلية رداً عليه، أنظر: *Journal of Palestine Studies*, vol. XXXI, no. 2, Winter 2002, pp. 142-150. وللاطلاع على التقرير الكامل عن مفاوضات طابا المنشورة في صحيفة "هآرتس"، والمستندة إلى "اللاورقة" السرية التي أعدها المبعوث الخاص للاتحاد الأوروبي إلى الشرق الأوسط، ميغيل أنجل موراتينوس، أنظر: *Journal of Palestine Studies*, vol. xxxi, no. 3, Spring 2002, pp. 81-89.

الفلسطينية، وعن التخطيط الداخلي لسياسة منظمة التحرير الفلسطينية تجاه هذه المسألة.

يعرض القسم الثالث من الكتاب موضوعي العودة والمنفى. فيقدم جوزيف مسعد مراجعة للمسار الموازي للمفاوضات الرسمية والمقترحات الأكاديمية لحل مشكلة اللاجئين، منتقداً فكرتي "الواقعية" و"البراغماتية" اللتين يرى أنهما تميلان نحو المصالح الإسرائيلية. وهو بحث مثير (وأحياناً خلافي)، على الرغم من أن الحقائق لا يمكن تجاهلها بسهولة كما يوحي مسعد. ويقدم وديع سعيد تقريراً مفيداً جداً عن واجبات الدول المضيفة للاجئين بموجب القانون الدولي، مركزاً على عدم التزام لبنان في هذا الصدد. وتوجز نهلة غندور الحاجات الاقتصادية الاجتماعية للاجئين في لبنان. وهي تستخدم بيانات التسجيل لدى الأونروا بشكل مضلل (كما يفعل كثير غيرها)، على الرغم من أن من المقبول بصورة عامة اليوم أن 200,000 فلسطيني فقط يقيمون بلبنان فعلاً، وهو نصف رقم المسجلين فعلياً في الأونروا.

يركز القسم الأخير من الكتاب على مطالب الفلسطينيين والبحث عن حل طويل الأمد. فتقدم سوزان أكرم خلاصة ممتازة للقانون الدولي بخصوص هذه المشكلة، بينما يقدم سلمان أبو ستة مقولته المعروفة بأن إسرائيل يمكنها، من الناحية المادية، استيعاب اللاجئين بأكملهم إن عادوا. وفي حين أن هذه المقولة سليمة من الناحية المادية، غير أنها تغفل بيت القصيد: فإسرائيل لا تمانع في عودة اللاجئين على أسس جغرافية أو اقتصادية، وإنما لأنها تريد الحفاظ على الأغلبية اليهودية. ويتفحص جان أبو شقرا الجهود لربط مطالب اللاجئين الفلسطينيين بمطالب اليهود من الدول العربية. ويقدم عاطف قبرصي خلاصة ممتازة لمؤلفه عن الأملاك الفلسطينية والخسائر الأخرى التي حدثت سنة 1948، ويرى أن قيمتها الإجمالية تتراوح بين 92 مليار دولار و147 مليار دولار (كما كان سعر الصرف سنة 1984). وتقدم إنغريد جرادات غاسنر خلاصة للتعبئة الشعبية حول مشكلة اللاجئين في السنوات الأخيرة. ويكرر نصير عاروري دعواته السابقة من أجل مؤتمر فلسطيني يحض على تحقيق مطالب اللاجئين، ويشكل أساساً لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد إعادة تشكيلها. وأخيراً، يقدم نورمان فينكلشتاين تقريراً موجزاً جداً عن الدروس المستفادة من التعويض على المحرقة اليهودية.

من الصعب إيجاز كتاب شارك فيه هذا القدر الكبير من المساهمين. فوجهات

النظر المقدمة قيّمة كلها، وبعض الفصول غني بالمعلومات، أو يكشف عن أفكار جديدة. لكن تطورات كثيرة جرت طبعاً، بعد صدور هذا الكتاب، وكان من الممكن أن يكون مثيراً للاهتمام رؤية تحليلات حديثة تعكس ما جرى فعلاً في مفاوضات الوضع الدائم في سنتي 2000 و2001، فضلاً عن الكم الهائل من الأبحاث الهادفة سياسياً، التي أجريت بشأن هذه المشكلة في السنوات الثلاث الماضية. كما أنه كان من الممكن أن يكون مثيراً للاهتمام، على الرغم من تخوّفات جوزيف مسعد بشأن الواقعية، أن نرى المؤلفين يطرحون بجد أكبر مسألة الطريقة الفضلى لتحقيق الحقوق، وما هي المقاربات التي تحقق أعظم المكاسب، وما هي المقايضات التي يمكن إجراؤها. وإن كان هناك من نقطة ضعف في هذا الكتاب، فهي ولا شك ميل بعض المؤلفين إلى الابتعاد عن توجيه أي اهتمام جدي إلى القوى المحركة للمفاوضات.

في المقدمة، على سبيل المثال، يندد إدوارد سعيد بالزعيم الفلسطيني ياسر عرفات لأنه "عهد بمفاوضات الوضع النهائي إلى مؤسسة استشارية يمينية في لندن، هي مؤسسة آدم سميث، التي تدفع وزارة الخارجية البريطانية لها لقاء خدماتها" (ص 6). ويتحدث سعيد هنا عن المساعدة الخارجية لوحدة دعم المفاوضات التابعة لدائرة شؤون المفاوضات في منظمة التحرير الفلسطينية. وتتكون هذه الوحدة من أبرز الاختصاصيين الفلسطينيين الشباب الذين حظيت بامتياز العمل معهم. وقد قدموا (ويتابعون تقديم) مساهمات كبرى لتحسين مستوى إعداد فرق التفاوض الفلسطينية ونوعيتها. وهم يقومون بذلك من رام الله في ظل منع التجول والحصار اللذين تفرضهما نقاط التفتيش، ومن مكاتب توجد في بعض الأحيان دبابات إسرائيلية متوقفة خارجها. ومع انهيار عملية السلام، لن تجرى على الأرجح أي مفاوضات ذات مغزى بشأن مشكلة اللاجئين إلا بعد عدة أعوام. وعندما تُستأنف، إن استؤنفت، سوف يقدم هؤلاء المتخصصون مساهمة كبرى في الدفع قدماً بحقوق اللاجئين.

إن هذا الكتاب منشط ومنبّه في الإجمال، وسيستمتع بقراءته المهتمون بمشكلة اللاجئين.

ركس براينن

أستاذ مشارك للعلوم

السياسية في جامعة ماكغيل

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>